ضباب وبروق

الى علي الجندي ، ذكرى رفاق المحبة ووحدة الصراع

ضجةُ المقهى ،
ضبابُ التبغِ ،
مصباح واشباح يغشيها الضباب ،
ويغشّي رعشة في شفتي السفلى ،
ويغشّي صمت وجهي ووجومه
أفرخ البومُ
ومات النسرُ
في قلبي الذي اعتاد الهزيمه

طالما جعتُ ، افترشت الجمرَ ،
أتلفت الليالي
اتقي ما أشتهيه واهاب
واطيل الجوعَ حتى ينطوي الجوعُ
على موت الرغاب ،
باطلٌ ما يخدع العزم
ويدمي العزمَ ،
يغريه فيجتاح الاعالي
وعلى ما غار في صمت التراب
من بطولات الضحايا
يرتمي ظل غراب

طالما ابحرت حيث المبحر الساكنُ
لا يطوي بحارا ويعاني
حيث لا يرتعد الموجُ
لايقاع الثواني
حيث لا يشتدّ هول البحرِ
حتى يمّحي نجم وصبح ومواني
حيث لا ينشقّ موج الغيمِ
عن وهج البروق
غابة سودا وادغالا
يدميها الحريق
شبح يبحر في البحرانِ
يغويه السراب
تلتقيه في ضباب التبغِ
اشباح يغشيها الضباب

طالما اجتاحت ضباب التبغِ
ريح والحّت وجلتْ
ما أضمرت عيناكَ
من غيب الصحاري
حيث صارعتَ
فروخ الجن ، قطعان الضواري ،
وبلوت الحيرة الحرّى
التي ينحلّ فيها الكون
وهما وصدى
غير حس بيقين الرعب
في تيه المدى
كنت فيه الخالق المخلوقَ
يرغي ، يتلوّى ، ويهيمْ ،
كلّ ما في الخالق المخلوقِ
من عار قديم
صهرته حسرة الليل
وحمى الشمس والريح السّموم
فتجلّت فيه نار صلبة
تعصى على نار الجحيم
والتماعات ترى ما لا يرى
من رحم الارض
لابراج النجوم

طالما اغمضت دون البرقِ
عينيّ ، وارخيت الستائرَ
وتركت الليلَ
ينهالُ على اشلاء مصباح يموت
وتلحّفت السكوت
فتلوّت خلف جفنيّ
من البرق التماعات الخناجر :
انت يا من غوّرت
في جوفه الرؤيا وغصت
فاستحالت جمرة ملتهمه
أكلت اعصابه ، مصّت دمه
تلك رؤيا اختنقت
في الكلمه
حين ثارت ، وتحدّت
لعنة ما برحت تشتدّ
من جيل لجيل
تتمشى في خلايا جيلك
المعجون من وحل الوحول
لعنةَ الارض البغي الهرمه .

يوم كان الصبح ينهلّ على
ارض بتول
فجّرت فيها سيولا وسيول
من خيول الفتح
رؤيا التمعت في كلمه

اترى هل كان ما عاينته يومـا
سوى صبح غريب
شمسه تطلع من صوب المغيب
وسوى نهر عجيب
تمّحي اللعنة فيه ،
والتجاعيدُ ، وينحلّ المشيب .

كان أجدى
لو بنت كفاك برجا متعالي
في حنايا صمته
يرفل وهج الطيبِ
في وهج اللآلي
وغلالاتٌ من الوهم المغالي
وشّحتها حنوة الليل الطري
وصفاء مخمليّ قمري
يلتوي عنها جنون الشمس
ترتدّ ظنون الاعين المتهمه
كان اجـدى
لو تبرّجت
وبرجت البغيُّ الهرمه

* * *

طالما الهبت الخمرةُ
ما يرتدّ عنه الظن في عتمة كهفي
الهبت ما تملـك العتمةُ
من نفسي وتخفي
اطلقته شرراً ، موجا ، غيوم
وطباعا لا تدوم
وقطيعا من رغاب العمر
يتلوه قطيع
كيف كانت ترتوي القطعان
تشتدّ وتنمو
كلما اشتدّ بها برد وجوع
خلتها ماتت على الغصات
في ليـل الصقيع
خلف صمتي ، ووجومي الحجري
ليس يجديها عويلٌ
او جموح بربري

طالما غرّبتُ في الخمرة
عن طبعي وحالي
غبت في طبع صبيّ لا يبالـي
غبت في طبع الدوالي
ارتوي من مرح الشمسِ
وما ينهلّ من صحو السحاب
ضجة المقهى ،
ضباب التبـغِ
مصباح واشباح يغشيها الضباب
لا أبالـي
انّ لي طبع الدوالي

ومضة تمضي بطبع
من طباعي مستعار
ينجلي عن هالكٍ
يقطر من اجفانه جمر وعار
ان يكن يطمع بالغفرانِ
من يبكي ، يصلّي ، ويتوب
فانا طبع غريب
يكتوى بالرعب من طبع غريب

في جبال من كوابيس التخلّي والسهاد
حيث حطت بومة خرساء
تجترّ السواد
الصدى ، والظلّ ، والدمع جماد
يتجلّى فارس غض منيع
فارس يمسح غصات الحزانى والجياع
سيفـه
يهزج في وهج الصراع
ويعرّي الفعل
من اسمٍ وظرف وقناع ،
وتودّ البومة الخرساءُ
لو مـات الجميع
لو توارى الفارس الغض المنيع
موجة يلهو بها ، يهدمها
موج الطباع
وارى الفارس يهوي ويغيب
وارى البومة تهوي وتغيب
بين شطّين من الموج العباب
وارى عبر الغياب
شبحا يبحر في البحرانِ
يغويه السراب
تلتقيه في ضباب التبغِ
اشباح يغشيها الضباب

خليل حاوي